مصطفى حسين آل عوض

ولادة القلوب وصناعة الإيمان في شهر رمضان






تبصير
للنشر والتوزيع
للدراسات والأبحاث العلمية والترجمة




للدخول إلى متجر مركز تبصير
https://tabsier.center/

ولادة القلوب وصناعة الإيمان في شهر رمضان / تأليف: مصطفى حسين عوض

/ ط١/ ٢٠٢٤م

٦٠ ص، ١١,٥× ١٦,٥ سم

دار النشر: مركز تبصير لتقريب التراث والدراسات العلمية والترجمة

عنوان الكتاب: ولادة القلوب وصناعة الإيمان في شهر رمضان

المؤلف: مصطفى حسين آل عوض

رقم الطبعة: الأولى

تاريخ الطبع: ٢٠٢٤م





العنوان: ٣ شارع مسجد الفرقان - القناطر الخيرية - القليوبية جمهورية مصر العربية

التليفون: ٠١٠١٩٧٥٧٠١٠ – ٠١١٠٢٢٦٠٠٢٠

http://tbseir.com :website- twitter: @tabseir- Fb: @tbseir

Email: tabseir@gmail.com



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

باسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فهذا كُتيب مختصر، استعنتُ بالله جل وعلا على أن يكون مفيدًا لمن أراد أن يدركَ شيئًا مما يجب أن يدركَه في هذه الأيام المباركات، عساه أن يتغير إلى ما يُحب ربُّنا ويرضى، وعسى الله سبحانه أن يرى منه ما يُحب فيقول له: «اذهب فقد غفرت لك».

إن هذا المَوسم الذي أظلَّنا لَموسم خير، وبركة، ونفحات من الله جل وعلا، وقل أن تجد مسلمًا مراقِبًا لحالة التزامه بأوامر الله جل وعلا وسنة نبيه ﷺ إلا وقد جعل اللهُ جل وعلا له نصيب من الاستفادة بهذه النفحات؛ فكانت من أسباب عودته إلى الله جل وعلا.



موسمٌ كان النبي ﷺ يجمع أصحابَه قائلًا لهم في بدايته: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللهُ ﷻ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»(١).

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كيف لا يُبشَّر المؤمن بفتحِ أبواب الجنان، كيف لا يبشر المذنبُ بغلقِ أبواب النيران، كيف لا يبشر العاقلُ بوقتٍ يُغَلُّ فيه الشيطان، من أين يشبه هذا الزمانَ زمانٌ؟!»(٢).



فحريٌّ بك أن تعلمَ أن هذه الأيام التي أقبلتْ ليست كغيرها، وحريٌّ بحالتك في هذه الأيام أن تتغيرَ عما كانت عليه في غيرِها؛ فهو فرصة يجب اغتنامُها وجوبًا عينيًّا عليك، منحك الله إياها، وسينظر إلى ظاهرِك وباطنك ليعلمَ ماذا فعلت فيها.

---

(١) أخرجه النسائي (٧١٤٨)، وأحمد (٢١٠٦)، وصححه محققو المسند.

(٢) «لطائف المعارف» لابن رجب (ص٢٤٦).



لماذا عليك أن تبحث عن التغيير؟!

سؤال محيِّر!

ولكن لتعرف أهميَّتَه وضرورة ما يطالبك به السؤال، عليك أن تسأل نفسك سؤالًا عكسيًّا: ماذا لو جاءك ملك الموت وأنت على ما أنت عليه يوميًّا؟! أيسرُّك؟! أيرضيك؟! أم أنك سترجو من الله حينَها أن يمهلك ولو ليوم واحد لتغير فيه روتينك اليومي، وما كنت تهدر فيه عمرك؟!

إن المتفحِّص في يومه وليلته قطعًا يتمنى أن يتغيرَ حاله؛ ليصبح أكثرَ محافظةً على وقته؛ فلا ينفقه فيما لا ينفع فضلًا عما يضر، وإن الناظر في عاداته اليومية قطعًا سيتحسر إذا لم يجد فيها ما به يتقرب إلى الله رب العالمين، وإذا لم يجد فيها ما يذيب به هذا الفارقَ الكبير بين تَعداد سيئاته وتَعداد حسناته.

إن المتأمِّلَ في حالِ نفسه التي أصبحت -أو كانت هكذا منذ أن أصبح واعيًا في هذه الحياة- تفعل الشيءَ ولا تلتفت أهو يرضي الله أو يُسخطه؟ إلا إذا كان من الكبائر فحينها



فقط تلتفت التفاتةً غيرَ مؤثرة لتستكملَ يومها بلا تثريب!

إن المقيِّم لحالة نفسه بتقييم شرعي -لا أقول كما سيُقيَّم هو على الميزان يوم القيامة ولكن تقييمًا سطحيًّا عامًّا-: لَيعلم علم اليقين أنه يحتاج إلى إعادةِ صياغة وولادة من جديد؛ بقلبٍ جديد، وعقل جديد، وموازين جديدة، واهتمامات جديدة؛ لكي يكون مؤهلًا لعمل الصالحات التي بها يتأهب للقاء الله جل وعلا.

إن المعاييرَ التي يحكم بها الناسُ اليومَ على أنفسهم، فيقارن الواحدُ منا نفسه بأسوأ شخص في معارفه لينظر إلى نفسه نظرةَ الرضا، قاتلًا ضميرَه بخدعة ماكرة لن تنطلي على منكر ونكير في القبر، هذه المعايير لن تصمُد طويلًا، ولن تغني شيئًا بل تضر، وتساعد المرء على قتل قلبه واغتيال ضميره.

إن المعاييرَ الصحيحة التي بها يصل الإنسان إلى تشخيصِ حالته ومعرفة منزلته الحقيقية متاحةٌ للجميع،



مصدرها الكتاب والسنة الصحيحة، وهي على طرف البنان لمن يرغب.

ومنها ما قاله رسول الله ﷺ: في تعريف المؤمن الحقِّ؛ إذ قال ﷺ «مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ»[(١)].

ومعيار آخر في آية كريمة إذ يقول الله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾، أَهُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: «لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لاَ يُتَقَبَّلَ مِنْهُ»[(٢)].

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن المؤمنَ يرى ذنوبَه كأنه قاعدٌ تحت جبلٍ يخاف أن يقعَ عليه، وإن الفاجرَ يرى

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، وأحمد (١١٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٧٥)، ابن ماجه (٤١٩٨)، وأحمد (٢٥٧٠٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٦٢).

ذنوبَه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا، (وأشار بيده فوق أنفه)»[١].

إن الناظر إلى المعايير الشرعية التي جاءت في الكتاب وصحيح السنة وآثار الصحابة: لِيحكم بها على حالة نفسه، وينظر في تقييم ذاته تقييمًا موضوعيًّا، بعيدًا عن حُسن الظن المفرط في النفس، وإحسان الظن الكاذبِ بالله جل وعلا - إذ لو كان صاحبه صادقًا لأحسن العمل- الذي يضع نفسه على هذه المعايير لينظر أين هي على الحقيقة: سيعلم أنه بعيد، بل بعيد جدًّا، ويحتاج أن يتغيَّر، يحتاج إلى قلبٍ جديد، وعقل جديد، وعادات جديدة، واهتمامات جديدة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٨).



﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾

إن التغييرَ المطلوب هو ما يَصوغ القلبَ صياغة جديدة، ويوقظ الضمير يقظة تجعله كالحاجب عن مولاه، لا يُدخل عليه ما لا يرضاه، فيحفظ القلب والعقل والجوارح عن الاقتراب من الكبائر، وعن الوقوع في الصغائر.

ولكن تذكَّرْ: ستظل مهما فعلتَ ومهما تغيرت بشرًا من بني آدم تقع في الذنب تِلوَ الذنب، **لكن** هذه المرة تقع في الذنب كما يقع المؤمن، لا كما يقع الفاسق والمنافق.



كالمؤمن الذي إذا ما وقع في الذنب ساءه ذلك، لا كالفاسق المعتادِ على الذنب ولا يبالي، بل لا يميِّز ضميرُه بين المباح والحرام..

أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» عَنِ النبيِّ ﷺ، فِيما يَحْكِي عن رَبِّهِ ﷻ، قالَ: «**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عادَ فأذْنَبَ، فَقالَ: أَيْ**

رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تبارَكَ وَتَعالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عادَ فأذْنَبَ فَقالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تبارَكَ وَتَعالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، اعْمَلْ ما شِئْتَ فقَدْ غَفَرْتُ لَكَ». قالَ عبدُ الأعْلَى: لا أَدْرِي أَقالَ في الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: «اعْمَلْ ما شِئْتَ»[١].

فالمراد هنا: أن تصبحَ مثل هذا العبد، يذنب لكنه يعلم أن الله كما أنه يغفر الذنب فهو أيضًا سبحانه يعاقب على الذنب، وقبل ذلك أن تعلم أن لك ربًّا يراك حين أذنبت، وسيسألك عما فعلت، إذا تيقنتَ من ذلك، واعتقدتَه؛ انتفض قلبك، وقفز ضميرك، وتنبه عقلك، كلٌّ منهم يفرز أعمالك فرزًا، ويدقق فيها تدقيقًا؛ لأنه رُبَّ ذنبٍ وقع فيه العبد وهو لا يبالي ولا يلتفت؛ يسخط الله عليه به، فإن الله قد أخفى رضاه في طاعته؛ فلا تحقرن شيئًا من الطاعات،



(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٨).

وأخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغرنَّ شيئًا من الذنوب.

إن كنت حقًّا تريد أن تتغير؛ فعليك بالتركيز على قلبك وعقلك وعقيدتك وعزيمتك، وعليك أن تعلم أنك لن تتغير إلى الأفضل ما لم تبذل جهدًا وتداوم عليه، تستصعبه حينًا، وتستسهله أحيانًا، وتجده شاقًّا عليك وثقيلًا في كثير من الأحايين، **غير أنه لا مفرَّ من العمل للحصول على التغيير**، لكي تصل إلى حالة ترضى حينها أن يأتيَك ملك الموت وأنت عليها.



واعلم: أنك إذا لم تبذُلْ لله شيئًا فلن تتغيرَ، بل في مثل هذا الموسم القسمة ثنائية: إما تبذل لله فيغفر لك ويُكرمك، وإما تكسل وتتجاهل الأمر فيدخل الأبعد في دعاءِ رسول الله ﷺ إذ يقول: «ورَغِمَ أنفُ رجلٍ دخلَ علَيهِ رمضانُ ثمَّ انسلخَ قبلَ أن يُغفَرَ لَهُ»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وأحمد (٧٤٥١)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.



وهنا أمران:

الأمر الأول: أن الحصولَ على المغفرة في رمضان يسيرٌ، وفي متناول الجميع، وإلا لَما أوحى الله لنبيِّه ﷺ أن يدعوَ على من لم ينلِ المغفرة فيه.

الأمر الثاني: أنك في رمضان لستَ مخيرًا بين المغفرة وبين اللاشيء، بل إما المغفرة، أو العقوبة بالدخول في دعاء الرسول برُغام الأنف، يعني: الذل، وفي رواية أخرى: «**أبعده الله**»[(١)] يعني: دعاء على مَن لم يحصِّل أسباب المغفرة في رمضان بالبعدِ عن الله جل وعلا.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦]، فلما لم يُعِدُّوا العدة للخروج عُلم أنهم غير صادقين؛ لذلك عوقبوا بالتثبيط والخذلان، فإن كنت تريد العتقَ من النار في رمضان، إن كنت تريد أن تُقبل، وتمحى

---

(١) أخرجها ابن حبان في «صحيحه» (٤٥٥)، وصححها الألباني في «التعليقات الحسان» (٤١٠).

خطيئتك؛ فلا بد من إعداد العدة.

فكن على حذرٍ من أمرين: أن يأتي واجب الوقت وأنت غير مستعد له، ومتهيئ لفعله؛ فتعاقب بالتثبيط عن فعله والتخذيل عن تحصيله، قال تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ الله إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التوبة: ٨٣].

وإن من أشدِ العقوبات التي يتلقاها العبد: أن يكون معاقبًا بالبُعد عن الله وهو لا يشعر.

تأمَّلْ في حالك، وكم أنت بعيد عن رضا الله جل وعلا وعبادته سبحانه، والإقبال على سنن حبيبنا محمد ﷺ للاقتداء به فيما سنه لنا محبةً وطاعة، ثم تأمل فيما قاله الإمام ابنُ الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضاربًا لنا المثل: قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «غاب الهدهد عن سليمان ساعةً فتواعده، فيا غائبًا عنا طولَ عمرِه.. أمَا تحذَرُ غضَبَنا؟!.

خالف موسى الخضر في طريق الصحبة ثلاثَ مرات،



فحُلَّ عقد الوصل بكفِّ: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨]، أمَا تخاف يا من لم يفِ لنا قطُّ أن نقول في بعض زلاتك: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾»[١].





(١) «المدهش» لابن الجوزي (ص٤٩٠-٤٩١).



لماذا الآن ولماذا في رمضان؟

لأن العمر ينقضي، وربما لا تدرك من لحظاتِ التعويض إلا هذه اللحظة.

ولأني أنا وإياك مأمورون بالعودة والتوبة إلى الله، وتصحيح المسار في كل لحظة.

ولأن رمضان هو مصنع الرجال، وموطن ولادة القلوب، ومحل صناعة الإيمان في النفوس.



رمضان شهرٌ مضيء لا يقبل الظلام، حتى أنه وقبل بداية وقت فريضة الصيام، قبل فجر أول يوم، ومع ظهور هلال الشهر المبارك يقول النبي ﷺ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»[(١)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٩٦٠).



فهو شهر الخير والبركة والإقبال على الله جل وعلا، وفيه عتق من النار كل ليلة، فاحذرْ أن تكون غيرَ مبال بهذه النفحة: أن يعتق الله رقبتك من النيران!

لقد هيأ الله لك الأسبابَ، أحياك حتى أدركتَ الشهر، ثم قبل أن تصوم فيه يومًا واحدًا: صفَّد الله لك الشياطين ومردة الجن الذين يؤزُّون الناس أزًّا على الذنوب والمعاصي.

وأغلق الله جل وعلا عنك أبواب النيران، وفتح لك أبواب الجنة، وأمر أحد ملائكته ينادي عليك: يا باغي الخير أقبل = يا من يريد أن يرجعَ إلينا، يا من يريد أن يتغير، يا من يريد أن يقدِّم أعمالًا يلقاها يوم القيامة ثقيلة في الميزان فينجو بها من النار، أقبِلِ الآن، هذا هو الوقت المناسب لِما تريد.



ثم ينادي قائلًا: يا باغي الشر أقصر = يا من ينشغل بغير الله والدار الآخرة، يا مَن لا يزال يبحث عن شهواته وإمضاء وقته فيما يضر، يا مَن لا يبالي أيكون اسمه ضمن قائمة المعتوقين أو لا = أقصِرْ وكُفَّ وتوقفْ وانتبهْ، فما تقوم به



لا ينبغي أن يكون منك خاصة في هذه الأيام المباركة.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله جعل رمضان مضمارًا لخلقه، يستبقون فيه إلى مرضاتِه، فسبق قومٌ ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجبُ من اللاعب الضاحك، في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون»[(١)].



(١) «زهر الآداب وثمر الألباب» (٢/ ٦١٨) لإبراهيم الحصري القيرواني.



حقيقة المشكلة والسبب الأول للبُعد

إن المشكلة الحقيقة ليست في قلة العبادة، ولا في الوقوع في الذنب، فكل الناس حتى «المؤمنون» تفتُر عبادتهم أحيانًا، ويقعون في الذنوب لا أحيانًا بل كثيرًا، فليست هذه المشكلة على الحقيقة، ولكي تعرفَ الحقيقة ينبغي عليك أن تنظر من علوٍ، ينبغي عليك حتى تصل إلى الفهم أن **تبتعد قليلًا كي ترى أفضل، فما دمت منغمسًا فلن ترى شيئًا.**

إن الإشكالَ الأكبر في نمط الحياة وترتيب الأولويات، الإشكال: هو أن أهم ما يشغل العبدَ ليس ما يجمعه الآن في الدنيا ثم سيُفرز ليتم وضعه في كفتين: كفة فيها حسناته وكفة فيها سيئاته، الحسنة يضاعفها الله رب العالمين إلى عشر حسنات والله يضاعف لمن يشاء، والسيئة لا تزن إلا سيئة، وويل حينها لمن غلبت آحاده عشراته.

المشكلة أن يحيا الإنسان وهو غير حريصٍ على ما ينفعه في هذا الموقف.



المشكلة ألا يكون مباليًا بميزانه يوم القيامة.

المشكلة ألا يكون مباليًا أن يقع في ذنب بإصرار واحتقار للذنب؛ فيكون ذلك سببًا لسخط الله عليه فلا يرضى عليه بعدها أبدًا.

إن عمر بن الخطاب ﵁ لما طُعن وهو يصلي بالمسلمين وعلم أنه يموت قال: «لو أنَّ لي طِلاعَ الأرض ذهبًا لَافتديتُ به من عذاب الله قبل أن أراه»[(١)].



علق الإمامُ ابن الجوزي على كلام عمر ﵁ فقال: «وا عجبًا من خوفِ عمر مع كمالِه، وأمنِك مع نقصانك»[(٢)].

وأما علي بن أبي طالب ﵁؛ فكان يشتدُّ خوفه من اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوى.

قال: «فأما طول الأمل فيُنسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصدُّ عن الحق، ألَا وإن الدنيا قد ولَّت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكل واحدة بنون، فكونوا من أبناءِ الآخرة، ولا

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٢).

(٢) «المدهش» لابن الجوزي (ص١٩١).



تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل»[(١)].

إن أولَ ما ينبغي عليك معالجتُه في رحلة العودة إلى الله سبحانه وتعالى: أن ترتب أولوياتك، وأن تكون دائمًا حريصًا على ما ينفعك في اللحظة التي ستقف فيها بين يدي الله جل وعلا.

فإذا وقعتَ في الذنب، فقمْ سريعًا تائبًا، وقدِّم لله حسنةً عسى تطيشُ بوزن السيئة وتكفرها.

قال رسولِ اللهِ ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ»[(٢)].

إن بناءَ الأولويات، وترتيب الاهتمامات، وتصحيح التفكير، والحرص على المنفعة الحقيقية: كلُّ ذلك لا يقوم في العبد قيامًا صحيحًا بعد مجاهدة يوم أو يومين، بل ينبغي

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (٦٩٣).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٢١٣٥٤)، وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٠٨٣).



أن تبذل عمرًا تصحح مسارك حتى تستقيمَ، فإن بذلتَ جهدًا كبيرًا لكي تستقيم بَوْصَلَتُك؛ فإن هذا الجهد لا يساوي شيئًا في جهد مَن يحمل جبالًا من الذنوب على ظهره يوم القيامة؛ لأنه ما كان يبذل لهذا اليوم شيئًا من الجهد.

إن ترتيب الأولويات في شهر رمضان من أهم المهمات، فمن يضيع الشهرَ في مشاهدة المسلسلات والبرامج والسهرات الرمضانية الممتلئة بالاختلاط والذنوب: ليس كمن عقد النية، وأعدَّ العُدة، واستعد لكي يختم في الشهر كذا وكذا ختمةً، ويصلي كذا وكذا ركعةً، ويتصدق بكذا وكذا، ويجلس في المسجد يصون صومَه، ويحفظ أجرَه من أن يبدَّد.

إن الفوز الحقيقي: أن تخرج من الشهر شخصًا آخر يهتم بميزانه، وينظر في أقواله وأفعاله، ويخاف الله وجل وعلا من فوق عرشه، وهذا لا يتحقق إلا باللَّجَأ إليه سبحانه، والتوبة مما كان، ومجاهدة النفس وتدريبها على ذلك، وتذكيرها بالموت والحساب، وبذل الجهد مدةً؛ لكي تستقيم البوصلة، ويوجه الإنسان وِجهته تجاهَ خالقه جل وعلا.



الحد الأدنى من العمل في هذا الشهر

الحد الأدنى هو المقدار الذي من يُقصِّر عنه فهو مقصِّر، ولم يبذل طاقتَه لينالَ العتقَ والمغفرة والقربَ من الله وجلا وعلا، وكمٌّ كبيرٌ من الحسنات تطيشُ بوجودها في ميزانه كمٌّ أكبرُ من السيئات.

فعليك أن تدرك أن الفرائض أمرُها محسوم؛ فمن لا يأتي بالفرائض أيُّ مغفرة يرجو بتقصيرِه في موسم النشاط والإقبال على الله رب العالمين.



فقد جاء في الحديث القدسي أن الله قال: «من عادى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتُه، كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورِجلَه التي يمشي بها، وإن سألني لَأُعطينه، ولئن استعاذني لَأعيذنه، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعلُه تردُّدي عن نفسِ المؤمن؛ يكرَهُ الموتَ، وأنا

أكره مَساءَتَه»[١].

فالفرائض أولًا ولا نقاش فيها، وإذا أردتَ أن يُحبك الله جل وعلا؛ فعليك بالنوافل، أكثِرْ منها لا سيما قراءة القرآن، والذكر، والدعاء، وقيام الليل.

واعلم أن الإيمانَ يزيد في القلب ويقلُّ، ويضعُفُ ويقوى، ومادة قوته هي العمل الصالح.

يقول صاحب العقيدة السفارينية:

إيـمانُنا قولٌ وقصد وعمـلْ   يزيـد بالتقوى وينقصُ بالزللْ

فتنميةُ الإيمان في القلوب بالعمل الصالح بجميعِ أنواعه، النية المستقيمة والقولُ السديد والعمل الصالح.

اعلمْ أنه يجب عليك العملُ، وأن تكون في أقلِّ أيامك نشاطًا على الخط المستقيم.

يقول النبي ﷺ: «إنَّ لكلِّ عملٍ شِرَّةٌ، ولكلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فمن كانت شِرَّتُه إلى سنَّتي فقد أفلح، ومن كانت فَتْرَتُه إلى

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

غيرِ ذلك فقد هلكَ»[١].

أي: لكل عملٍ يعمله الإنسان وقتٌ يكون فيه العامل نشيطًا ومتحمسًا، ويكون عندك نشاط وحماس، وفي وقت آخر يقلُّ فيه ويفتر، فمن كان وقتُ نشاطه على سنة النبي ﷺ يعمل مثل ما كان النبي يعملُ دون زيادة أو ابتداع في الدين فقد أفلح، ومَن كان وقت كسلِه وفتوره على غيرِ سنة النبي ﷺ فقد هلك.

فأنت مطالب أن تكونَ على سنة النبي ﷺ في العمل، ومُطالب أن تكون على الذِّروة من ذلك في رمضان، ومهما ضَعُفتَ وأصابك الكسل؛ فلا أقل من أن تأتي بالفرائض وما استطعت من النوافل.



لكن في رمضان لا يكون الكسلُ؛ فهو شهر في العام، وفيه عتق من النار في كلِّ ليلة، فحريٌّ بي وبك أن نجتهدَ كلَّ

---

(١) أخرجه أحمد (٦٧٦٤)، وابن حبان (١١)، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (١١).



يومٍ عسى أن تُضم أسماؤنا إلى أسماءِ المعتوقين، ولا يفتُرُ العاقلُ ما دام لم يعلمْ بيقين أنه عُتق من النار.

فالحد الأدنى في العمل: أن يكون لك ورد من القرآن، وذكر الله، ولا تترك ذلك أبدًا في رمضان.

ولا تترك القيام فهو من أبواب المغفرة: قال النبي ﷺ: «مَن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا؛ غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»[(١)].



فقيام رمضان الذي أجرُه مغفرة الذنوب كلها معناه قيامُ الشهر كلِّه بدايةً من الليلة الأولى التي تسبق الصيامَ، وحتى آخرَ ليلة من ليالي رمضان، حينَها مع الإيمان والإخلاص والاحتساب ينال المرء موعودَ الله جل وعلا بمغفرة ما تقدم من ذنبه.

مع الصيام كام كان النبي ﷺ يصوم، يقول النبي ﷺ: «الصوم جُنّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يَرفُث ولا يَفسُق، فإن سابّه أحدٌ أو شاتَمَه فليقُل إني صائم».

(١) أخرجه البخاري (٣٧).

الصوم جنة أي: وقاية، **ولا يرفث** أي: لا يتكلم كلامًا فاحشًا أو كلامًا يثير شهوةً وهو صائم، **ولا يفسق** أي: لا يقع فيما يقع فيه أهلُ الفسقِ من الذنوب والمعاصي.

يقول جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا صمت فليَصُمْ سمعُك وبصرُك ولسانُك عن الكذب، ودعْ عنك أذى الجار، وليكُنْ عليك وقارٌ وسكينةٌ، **ولا يكن يومُ صومِك ويومُ فِطرك سواءً**»(١).

وقال سهل بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: «أعمالُ البِرِّ يعملها البر والفاجر، ولا يتجنبُ المعاصيَ إلا صِدِّيق»(٢).

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن أفضل العبادة أداءُ الفرائضِ، واجتناب المحارم»(٣).



---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»، والحاكم في «معرفة علوم الحديث».

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ١٩٧).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٩٦).



اليأس مَهْلكة للعبد مضيعة للفرص

إن الشيطان لن يتركَ المسلم حتى يجعله ييأسَ من ربه ويقنط من رحمته، لأنه يعلم أن القنوطَ من رحمة الله جل وعلا من من أكبر الكبائر، يقول الله جل وعلا: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

فاليأس يُهلك العبد ويجعله صيدًا سهلًا للشيطان الرجيم، فإياك أن تيأسَ لو حاولت في أولِ يوم أو يومين ولم تجد نفسك مقبلًا على العبادة، وتغيير نمط الحياة المفاجئ، فصابر واحبِسْ نفسك على ما ينفعُها وعما يضرها.

إن الناظر المتأمل في حالة رجلٍ لو كان أحدًا له أن ييأس لكان هو إلا أنه لم ييأس، ولتنظر في حالته التي كان فيها قبل أن ينتهز الفرصة، ويعود إلى الله رب العالمين.

هل تظن أني سأخبرك عن رجل فاته نصفُ رمضان ولم يُقبل على ربه؟!

أم عن رجل فاته رمضانُ كاملا؟! أو فاته عشرون عامًا



كل عام فيها يحوي ما يحوي من النفَحات والفرص غير أنه ظل مسلمًا بالاسم وفقط؟!

كل ذلك لا يساوي شيئًا فيما ستقرأ، ودعني أحدثك عن **عكرمة**.

إنه **عكرمة بن أبي جهل**، لم يفتُه الاستعداد لشهر رمضان في شعبان، ولا بضعة أيام في رمضان، بل فاته ما ستقرأ:

عكرمة بن أبي جهل ظل مع أبيه يحارب النبي ﷺ أكثرَ من خمسة عشر عامًا حتى مات أبوه في غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة، وأما هو فلم يرجِعْ عن كفره وعناده، فظل محاربًا النبيَّ ﷺ وصادًّا عن دينه ستةَ سنوات أخرى، حتى فتح الله جل وعلا على المسلمين مكة، وأما هو فلم يسلم.

فلما كان فتح مكة أمَّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعةَ نفرٍ وامرأتين، وسماهم، وكان منهم عكرمةُ بن أبي جهل.

أما عكرمةُ فأخذ فرسه وهرب تجاه اليمن ولم يُسلم أيضًا.



وكان متزوجًا من أم حكيم، وأما هي فجاهَدت لكي تُدخله الإسلام، فلما فر هاربًا، ذهبت لرسول الله ﷺ تطلب منه العفوَ عنه، فعفا عنه ﷺ، وأمَّنه، وأما زوجه فأخذت راحلةً لها وذهبت في إثره، تريد له الخيرَ، حتى أدركته على الساحلِ، فأخبرته أن النبي ﷺ قد أمَّنه، فرجع معها.

إلا أنه لم يرجع مثلما ذهب، ولكنه قبل أن تصل إليه أم حكيم كان قد ركب البحرَ بالفعل هربًا.



فعن عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَن عِكرِمة بن أبي جَهلٍ رَكِبَ البَحرَ مع أناس فأصابَتهم عاصِفٌ، فقال أهلُ السَّفينةِ: أخلِصوا؛ فإنَّ آلِهَتَكم لا تُغني عنكم شَيئًا هاهنا.

فقال عِكرِمةُ: وَاللهِ لَئِنْ لم يُنجِني في البَحرِ إلَّا الإخلاصُ [يعني إخلاص العبادة لله وحده]،= لا يُنجِني في البَرِّ غَيرُه، اللَّهمَّ إنَّ لكَ عَهدًا إنْ أنتَ عافَيْتَني ممَّا أنا فيه أنْ آتيَ محمَّدًا حتى أضَعَ يَدي في يَدِه، فلَأَجِدَنَّه عَفُوًّا غَفورًا كَريمًا».

فلما رجع مع أم حكيم، أقبل على النبي ﷺ ليعلنَ



إسلامه بين يديه، فلما رآه رسولُ الله وثب إليه -عليه الصلاة والسلام-؛ فَرَحًا بإسلامه قائلًا: «مرحبًا بالراكب المهاجر».

ثم جلس رسول الله ﷺ، فوَقَف عكرمة بين يديه، وأعلن إسلامَه صراحةً مدوية، ونطق شهادةَ الحق: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ له: «لا تسألني اليومَ شيئًا أعطيته أحدًا إلَّا أعْطَيْتُكَه»، فقال: فإنِّي أسألك أنْ تستغفرَ لي كلَّ عداوةٍ عاديتُكها، أو مَسيرٍ وضعْت فيه، أو مَقامٍ لقيتك فيه، أو كلامٍ قلتُه في وجهك أو وأنت غائبٌ، فرفع رسولُ الله يديه إلى السماء داعيًا ربَّه بدُعاءٍ كلُّه عفوٌ وجُود وكَرَم وصَفْح: «اللهم اغفِرْ له كلَّ عداوة عادانيها، وكلَّ مسير سار فيه يريد بذلك المسيرِ إطفاءَ نُورِك، فاغفر له ما نال مني من عِرْض، في وجهي أو وأنا غائبٌ عنه»، فقال عكرمة: رضيت يا رسول الله، لا أدعُ نفقةً كنت أنفقها في صَدٍّ عن سبيل الله إلاَّ أنفقتُ ضِعفَها في سبيل اللهِ، وَلَا قِتَالاً كُنْت أُقَاتِلُ فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إلا أَبْلَيْت ضِعْفَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ.



وقال: يا رسول الله، علمني خيرَ شيءٍ أقوله، قال: «تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله»، قال عكرمة: ثم ماذا؟، قال رسول الله ﷺ: «تقول أُشْهِدُ الله وأشهد من حضر أني مسلم مهاجر ومجاهد» ثم رد النبيُّ عليه زوجته.

لقد فات عكرمةَ أكثرُ من أحدٍ وعشرين عامًا يحياها في طاعة الله مع رسول الله، أضاعها لا في كسلٍ عن الطاعة، وإنما في محاربة الله ورسوله ومقاتلة المسلمين وأذاهم، ثم أدرك أنه كان مخطئًا، وعزم على أن يُضاعف ما بذله في محاربة الدين أن يضاعفه نصرة للدين.

فمات النبي ﷺ بعد عامين وهو راضٍ عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وولي أبو بكر الخلافة وولاه في حروبِ الردة فحارب المرتدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما دُعي إلى جهاد إلا وكان من أوائل المجاهدين الملبين النداء.

حتى كانت معركة اليرموك بعد إسلامه بستِّ سنوات تقريبًا وعدد جيش المسلمين حينها: ما بين ٣٦ - ٤٠ ألفًا، بينما كان عدد جيش اليوم يصل إلى ٢٤٠ ألف مقاتل بعتادهم.



وكانت معركةً شديدة على المسلمين، ولما اشتدَّ الكرب على المسلمين في أحد المواقف، نزل عن جوادِه، وكسر غِمد سيفه، وأوغل في صفوف الروم فبادر إليه خالد بن الوليد فقال له: «لا تفعل يا بن العم؛ فإن قتلك سيكون على المسلمين شديد»، فما كان من عكرمة إلا أن قال تنحَّ عني يا خالد، جاهدتُ بنفسي ضدَّ رسول الله! أفأستبقيها الآن عن الله ورسوله!». ثم نادى في المسلمين: مَن يبايع على الموت؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام بن المغيرة في أربعمائة من المسلمين، فقاتلوا أشد القتال حتى أثخنوا جميعًا جراحًا، واستُشهدوا.

وأما عكرمة، فأين هو؟! لم يجدوه بدءًا حتى اشتدوا في البحث عنه فوجدوه شهيدًا حميدًا رضوان الله عليه، وفي جسده ما يزيد عن ٧٠ طعنة.

لكنه يوم أن مات كان قد أعلن للناس جميعًا أنه ربما يخسر الإنسان بعضَ الفرص، وربما تفوتك النفحات، وأي نفحات!



أتيأس أن فاتك الاستعداد لشهر رمضان ؟! فقد فاته رمضاناتٌ مع رسول الله ﷺ.

أتيأس أن لم تقم بالطاعات ووقعتَ في كثير من الذنوب والآثام؟!

فقد فاته أحد وعشرون عامًا يحارب فيها اللهَ ورسولَه، وأما هو وفي أول لحظاتِ إسلامه فهِمَ ما ينبغي عليك أن تفهمَه، أما هو فعزم على تعويضِ ما فاته، ولم ينظرْ لماضيه، ولم ييأس رضوان الله عليه، فالأعمال بالخواتيم.

لا تيأس مهما حدث، وواصِلِ العملَ؛ فبمواصلة العمل ينجو المرءُ، فإحسانُ الظنِّ بالله لا يكون إلا بعدم اليأس من رحمته ومواصلة العملِ، وحينها تموت يومَ تموت وأنت على الطريق إلى الله رب العالمين، فالنجاة: أن تموت وأنت على الطريق مقبلًا غيرَ مدبر.



نعبد الله استجابة لأوامره لا لكي نجد لذةَ العبادة

إن من أكثر أسبابِ الفتور والكسل عن القيام وقراءة القرآن والذكر في رمضان: استثقال العبادة.

فكثيرٌ من الناس يحسَبُ أنه متى ما دخل في الصلاة قائمًا سيكون حاضرَ الذهن، خاشعًا باكيًا متلذذًا بالصلاة والقيام، ومهما وقف لن يتعب ولم يمل.

فإذا ما كانت أول ليلة وقف ومع بداية التراويح التي لم تعد قيامًا كما كان الصالحون يصلونها، بل أصبحت كسنَّة الفجر، صلاةً قصيرة إلا أن المرء مع هذا التقصير المخل يملُّ! فإذا ما ملَّ انقطع عن القيام بحجة أنه لا يجد نفسه في الصلاةَ، ولا يخشع، ولا يستقر عقله متدبرًا بل يذهب منه كلَّ مذهب عدا مذهب التدبر.



اعلم أن نقاء القلب وخشوعَه إنما يكون الباعث عليه زيادة الإيمان وقوته وزيادة الإيمان لا تكون إلا بالعمل الصالح؛ فهي كالحلقات بعضها سبب للآخر، و لابد أن



تبدأَ من نقطة البداية، وهي العمل الصالح والمثابرة عليه، فإذا ما بدأ فإياك أن تقف قبل أن تصل.

قيل لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما نستطيع قيام الليل، قال: أقعدتكم ذنوبكم»(١).

يقول الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ويقول النبي ﷺ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»(٢).



قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «المحب يتلذذ بخدمة محبوبه، وتصرُّفه في طاعته، وكلما كانت المحبة أقوى كانت لذة الطاعة والخدمة أكملَ، فليزن العبد إيمانَه ومحبته لله بهذا الميزان، ولينظر هل هو ملتذ بخدمة محبوبه، أو متكره لها يأتي بها على السآمة والملل والكراهة؟ فهذا محكُّ إيمان العبد ومحبته لله، قال بعض السلف: إني أدخل في الصلاة فأحمل

---

(١) «لطائف المعارف» لابن رجب (ص٩٨).

(٢) البخاري (١٤٦٩).

همَّ خروجي منها ويضيق صدري إذا فرغتُ أني خارج منها».

ولهذا؛ قال النبي ﷺ: «**جعلت قرة عيني في الصلاة**»[(١)].

ومن كانت قرة عينه في شيء فإنه يود ألا يفارقه ولا يخرج منه؛ فإن قرة عين العبد نعيمُه، وطيب حياته به.

وقال بعض السلف: «إني لأفرح بالليل حين يقبل؛ لِما يلتذ به عيشي، وتقر به عيني من مناجاةِ من أحب، وخلوتي بخدمته والتذلل بين يديه، وأغتمُّ للفجر إذا طلع؛ لِما أشتغل به بالنهار عن ذلك، فلا شيء ألذَّ للمحب من خدمةِ محبوبه وطاعتِه».

وقال بعضهم: «تعذبتُ بالصلاة عشرين سنة، ثم تنعمتُ بها عشرين سنة».

وهذه اللذةُ والتنعُّم بالخدمة إنما تحصل بالمصابرة والتعب أولًا، فإذا صبر عليه وصدق في صبره؛ أفضى به الى هذه اللذة.

---

(١) أخرجه النسائي (٣٩٤٠)، وأحمد (١٤٠٣٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٩٨).



قال أبو يزيد: «سقتُ نفسي إلى الله وهي تبكي فما زلتُ أسوقها حتى انساقت إليه وهي تضحك».

ولا يزال السالك عُرضةً للآفات والفتور والانتكاس حتى يصل إلى هذه الحالة؛ فحينئذ يصير نعيمُه في سيره، ولذتُه في اجتهاده، وعذابه في فتوره ووقوفِه، فترى أشدَّ الأشياء عليه ضياعُ شيء من وقته، ووقوفه عن سيره»[(١)].



---

(١) «طريق الهجرتين» (٢/ ٦٩٧-٦٩٨).



الاستثمار في الدقائق!

لو كانت الدقيقة في الوهلة الأولى لا تساوي عندك شيئًا، ولا تعتقد أنك تستطيع فيها إنجازَ شيءٍ يذكر، فهذا الانطباع يجب تغييره فورًا.

منذ مدة اطلعتُ على هاتف إحدى المسلمات اللواتي هن من محارمي، فوجدت في هاتفها أمرًا عجيبًا.

في داخل تبويب الساعة ما يسمى «المؤقت» وهو من جنس ما يسمى Stopwatch، ولكنه عكسي، تضع فيه المُهمة والوقت المحدد لها.

وفيه وضعت أقسامًا، فسمَّت القسم الأول:



- «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» ١٠٠ مرة، وجعلت المدة المحددة ٤ دقائق.

- وتبويب آخر اسمه «الباقيات الصالحات» والمقصود بها ما جاء في الحديث أن النبي ﷺ: «**خُذوا جُنَّتكم من النار؛ قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛**

فإنهن يأتين يومَ القيامة مقدمات ومعقِّبات ومجنِّبات، وهن الباقياتُ الصالحاتُ»[١]. فهذه الأربعُ وفي رواية: «ولا حول ولا قوة إلا بالله» معهن، فيصبحن خمسة.

فكان تبويب «الباقيات الصالحات» ١٠٠ مرة يستغرق ٩ دقائق فقط.

- وفي خمس دقائق ونصف الصلاة على النبي ﷺ بالصيغة التالية : «اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

فلما سألتُها لماذا فعلت ذلك؟! قالت يُسهِّلُ علي الذكر وقتَ العمل في حاجات المنزل؛ لأني حينها أستخدم يداي في غير التسبيح فأستعين بالعدِّ بطريقة أخرى، وهي متوسط الوقت الذي يمضي في كذا وكذا تسبيحة.

فانظر إلى حرصِها جزاها الله خيرًا على ذكرِ الله، وانظر

---

(١) النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦١٧)، وصحح الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢١٤).



كيف استثمرتِ الدقائقَ في ملايين الأذكار، وهي في الأساس كانت تعمل فيهن أعمالًا منزلية لو أخلصت النية لَكان لها فيها أجر، لكنها أبت إلا الجمع بين الأجرين.

وأما أنا وأنت فيستطيع الواحد منا في خمس و عشرين دقيقة كنتَ قبل رمضان تُمسك فيها الهاتف، وترى فيها من ثلاث إلى أربع مقاطع لا قيمة لها، ولم يُقدموا لك شيئًا، بل حتى أنك لا تذكر منها شيئًا الآن، في خمس وعشرين دقيقة إلى ٣٠ دقيقة تستطيع قراءةَ جزء كامل من القرآن الكريم فيه ما يزيد عن ١٠ آلاف حرف، ولك في كل حرف منه لك ١٠ حسنات يعني: فيما تنفقه من أجل لا شيء على الهاتف ستحصل ما يزيد عن مائة ألف حسنة.

هل أدركتَ الآن قول السلف الصالح: «ويل لمن غلبت آحاده عشراته»!

الآن كل ما عليك هو استبدال التطبيقات التافهة بتطبيقات الأذكار والمصحف الشريف قراءةً وسماعًا، واستثمار الدقائق القليلة لجنيِ الملايين من الحسنات.

احذر الخطط الرمضانية فهي سلاح ذو حدين

من أكثر الأمور انتشارًا مع اقتراب شهر رمضان الجداول والبرامج والأوراد الجاهزة، حتى ظهرت مؤخرًا بعض المنتجات المطبوعة لتسهيل متابعة القيام بالأوراد والعبادات، وهذا بلا شكٍّ مفيدٌ، إلا أنه أيضًا فخٌّ يقع فيه كثير من الناس، فعند أول وقوع يظهر أمامه كمُّ التقصير فيما كلف به نفسه فجأة ودون سابق تدريبٍ أو استعداد، فيشعر أنه بعيدٌ عن القيامِ بكل هذه العبادة؛ فيكون ذلك منفرًا له ومُيَئِّسًا له، فيعود أدراجَه خاليَ اليدين، ولا حتى بخفي حنين.

واعلم -رحمني الله وإياك- أن المهم أن تظلَّ حريصًا على أن يُكتب اسمك في المعتوقين، وأن تظل مهتمًّا بالنية والعمل بتحصيل المغفرة في هذا الشهر الكريم، وأن تبدأ في التغيير ولو تدريجيًّا، فيظل حالُك في تحسُّن، ولوكان تحسنًا قليلًا.

وإياك أن تيأس لو خسرت وِردك في يوم أو يومين أو ثلاثة، إياك أن تتركه في اليوم الرابع؛ لأنك أمضيتَ أيامًا بلا وِرد، لا تترك العمل لأنك قصرتَ، بل عليك أن تأتيَ بالعمل لأنك قصرتَ.



المغرب الأول

يقول النبي ﷺ: «إذا كانت أول ليلة من رمضان صُفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها بابن وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، ونادى مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك في كل ليلة»(١).

وأول ليلة إنما تبدأ بالمغرب الذي يسبق الإعلانَ عن رؤية الهلال، ففي يوم (٢٩) شعبان، عليك أن تكون مستعدًّا، وفي المسجد عند أذان المغرب، ولتقبل على ربك داعيًا لتسبق الناس إليه في أول لحظات رمضان.



فعليك بالدعاء، استعِنْ بربك جل وعلا ليُعينك على عبادته فهو سبحانه كريم.

يقول النبي ﷺ: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنْ الدُّعَاءِ، وَأَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ»(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن حبان (٤٤٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٤٤).



وعن أبي الدرداء أنه كان يقول: «جِدوا بالدعاء؛ فإنه مَن يُكثِرْ قرْعَ الباب يوشك أن يُفتح له»[(١)].

فعليك بالدعاء؛ فإن الله جل وعلا سميع قريب مجيب.

أقبِلْ على ربك داعيًا في أول لحظات الشهر الكريم عساه يستجيب منك ويعينك، فتفوز فوزًا عظيمًا.

فإذا ما أعلن بعدها بقليل أن رمضان غدًا فلتستعدَّ للتراويح بعد صلاة سنة المغرب، وإياك أن تُضيِّعَ التراويح الأولى، وإذا ما فاتك القيام في المسجد في أول ليلة فإياك أن يفوتك في المنزل؛ لأنك تحتاج إليه لكي تدخل في حديث: «مَن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»[(٢)].

لأن قيام رمضان لا يكون إلا بقيامِ جميعِ لياليه، فلو فوتَّ ليلةً فلم تقم رمضان كاملًا، وإنما قمت بعضه فقط.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٢٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٢).

(٢) تقدم تخريجه.



لا يكن يومُ صومِك كيوم فطرك

إن الله جل وعلا إنما فرض علينا الصيام لتحصيلِ التقوى يقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فإذا كانت علةُ فرضية الصيام تحصيلَ التقوى؛ فينبغي ألا يكون اليوم الذي يصومه المرء كاليوم الذي يكون فيه مفطرًا، بل يحفظُ قلبَه وسمعه وبصره وجوارحه.

يقول النبي ﷺ: «رُبَّ صائمٍ ليسَ لَه من صيامِه إلَّا الجوعُ وربَّ قائمٍ ليسَ لَه من قيامِه إلَّا السَّهرُ»[١].

ويقول ﷺ: «مَن لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ به والجَهْلَ؛ فليسَ لِلَّهِ حاجَةٌ أنْ يَدَعَ طَعامَهُ وشَرابَهُ»[٢].

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٣٢٤٩)، وابن ماجه (١٦٩٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٣).

احذر الهاتف ومواقع التواصل

اعلم أن هذا الشهر ما هو إلا لحظاتٌ، وأن أعدى أعدائك فيه كل ما كان من شأنه تضييع هذه اللحظات فيما لا يقربك إلى الله رب العالمين، فكل لحظةٍ تستطيع قضاءها فيما يثقِّل ميزانك، ويزيد إيمانك، ويقربك من مولاك؛ فتستعين بها على طاعةٍ أخرى لتزدادَ وزنًا في الميزان وقربًا من الرحمن جل وعلا.

فهذه المقاطع التي ما هي إلا تطبيع مع الذنوب والمعاصي؛ فلا تخلو من نظر إلى حرام أو سماع حرام، أو اعتياد على النظر إلى ما يغضب الله جل وعلا من أقوال أو أفعال، فكيف تُضيع هذه اللحظات الشريفة والأوقات الكريمة في مثل ذلك؟!

قال الوزير يحيى بن هُبَيرة البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الوقْتُ أَنْفَسُ ما عَنِيتُ بِحِفْظِهِ   وَأَرَاهُ أسهَلَ ما عليك يَضِيعُ

قال الحسن البصري: «أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم

أشدَّ منكم على دراهمكم ودنانيركم»[١].

وروي عن ابن مسعود وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أيضًا أنه كان يقول: «إني لأمقتُ الرجلَ أن أراه فارغًا ليس في شيء من عمل الدنيا والآخرة»[٢].

فلتُعاهِدْ ربَّك جل وعلا أن تقلعَ عن إدمان هذه المواقع، وعن تضييع العمر فيما لا طائلَ منه إلا قسوةُ القلب وضعف الإيمان.

---

(١) انظر: «شرح السنة» للبغوي (١٤/ ٢٥٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٢٨٢).



من غض بصره أنار الله بصيرته

من أعجبِ ما ستجده في غضِّ البصر: أنه يورث زيادة الإيمان اللحظي؛ فبمجرد أن تغض بصرك عن الحرام ستجد أثر ذلك في قلبك، فإذا ما داومتَ على ذلك أنار الله بصيرتك.

ورحم الله من قال:

كل الحوادث مبدؤها من النظر	ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها	في أعين العِين موقوف على
كم نظرةٍ فتكت في قلب صاحبها	فتْك السهام بلا قوس ولا وترِ
يَسُرُّ ناظره ما ضر خاطره	لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والله تعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله، فغضُّ بصره عما حُرِّم يعوِّضه اللهُ عليه من جنسه بما هو خير منه، فيطلق نور بصيرته، ويفتح عليه باب العمل والمعرفة والكشوف، ونحو ذلك مما يُنال ببصيرة القلب»(١).

(١) «مجموع الفتاوى» (٢١/ ٢٥٧-٢٥٨).



وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجزاءُ من جنس العمل، فمَن غضَّ بصره عما حَرَّمَ اللهُ ﷻ عليه، عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نورَ بصره عن المحرَّمات، أطلق اللهُ نورَ بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره ولم يغضَّه عن محارم الله تعالى»(١).

فاحذر من النظرِ إلى الحرام؛ فإنه يورث ظلمةَ القلب، وضعفَ الإيمان، واستثقال الطاعة، وفي هذا الزمان ما أصعبَ غضَّ البصرِ! وقد انتشرت المقاطع التي لا تحتوي إلا على ما يثير شهوات الرجال، ويبدد إيمانهم، ويجعلهم فريسة سهلة للشيطان، فاحذر من الهاتف ومواقع الفيديوهات؛ فإنه ثقب أسود يبتلع حسناتك ويضع على كتفيك جبالًا من السيئات.

وأما حمل النفس على غض البصر ففيه فوائد لا تُحصى وقد كتب العلماء فيها كتبًا ومصنفات.

ومن ذلك: أنه يُورث حب الله؛ فعن مجاهد قال: «غضُّ

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٤٨).



البصر عن محارم الله يورث حب الله ﷻ»[(١)].

- ويورث الحكمةَ؛ قال أبو الحسين الوَرَّاق: «مَن غض بصره عن محرَّم، أورثه الله ﷻ بذلك حكمةً على لسانه يهتدي بها، ويهدي بها إلى طريق مرضاته»[(٢)].

- وأن غاضَّ البصر من أعبد الناس؛ ففي الحديث: «**اتق المحارم، تكن أعبدَ الناس**»[(٣)].

- وأنه يُكسب خشية الله ﷻ؛ قال مالك بن دينار: «قال داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا معشرَ الأبناء، تعالَوا حتى أعلمكم خشيةَ الله، أيُّما عبد منكم أحبَّ أن يحيا ويرى الأيام الصالحة، فليحفَظْ عينيه أن تنظر إلى سوء، ولسانه أن ينطق بالإفك»[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٤١)، وذكره ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٣٩٤).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٤١)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١٦٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٠٥)، وأحمد (٨٠٩٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٠).

(٤) أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها» (ص١٣٩)، وفي «اعتلال القلوب» (ص١٣٨).



فرص رمضانية

من فرص تحصيل الخير في شهر رمضان ما يأتي:

١ - صيام رمضان صيامًا صحيحًا:

قال رسول الله ﷺ: «مَن صام رمضان إيمانًا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه»[١].

٢- قيام رمضان كاملًا:

قال رسول الله ﷺ: «من قام رمضان إيمانا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»[٢].

٣- قيام ليلة القدر:



قال ﷺ: «ومَن قامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمانًا واحْتِسابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ»[٣].

٤ - لله عتقاء من النار في كل ليلة:

قال ﷺ: «إنَّ للهِ تعالى عند كلِّ فطرٍ عُتَقاءَ من النارِ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥)، ومسلم (٧٦٠).



وذلك في كلِّ ليلةٍ»[(١)]. وفي رواية: «إنَّ للهِ عندَ كلِّ فِطرٍ عتقاءَ وذلِك في كلِّ ليلةٍ»[(٢)].

٥- الصائمُ له دعوة مستجابة:

قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا تردُّ دعوتُهُم: الصَّائمُ حتَّى يُفْطِرَ، والإمامُ العادلُ، والمظلومُ»[(٣)].

٦- فيه ليلة خير من ألف شهر:



قال رسول الله ﷺ: «لله فيه ليلة هي خير من ألف شهر، من حُرِمَ خيرها فقد حرم»[(٤)].

قال ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٤٢)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٩٦٠).

(٢) أخرجها الطبراني (٨٠٨٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢)، وصححه الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٤) أخرجه النسائي (٢١٠٦)، وأحمد (٧١٤٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥).

رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

٧- الصيام لله وهو يجزي به:

ففي الحديث القدسي أن الله جل وعلا يقول: «كلُّ عملِ ابنِ آدمَ يُضاعفُ؛ الحسنةُ بعشرِ أمثالِها، إلى سَبْعِمائةِ ضِعفٍ، قال اللهُ تعالى: إِلَّا الصَّوْمَ؛ فإنَّه لِي، وأنا أجزي به، يَدَعُ شهوتَه وطعامَه من أجلِي، وللصائم فرْحتانِ: فرحةٌ عند فِطرِه، وفرحةٌ عند لقاءِ ربِّه، ولَخُلُوفُ فمِ الصائمِ، أطيبُ عند اللهِ من ريحِ المِسكِ»[١].



---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).



وفي الختام

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما كان القلب لهذه الأعضاء كالمِلك المتصرف في الجنود الذي تصدُر كلُّها عن أمره، ويستعملها فيما شاء، فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله. قال النبي ﷺ: **«ألا وإن في الجسد مضغةً، إذا صلحت صلح الجسد كلُّه»**[(١)]. فهو ملكها وهي المنفذة لما يأمرها به، القابلة لِما يأتيها من هدايته، ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتى تصدر عن قصدِه ونيته، وهو المسؤول عنها كلِّها؛ لأن كل راع مسؤول عن رعيته: كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده أولى ما اعتمد عليه السالكون، والنظر في أمراضه وعلاجها أهمُّ ما تنسك به الناسكون.

ولما علم عدو الله إبليس أن المدارَ على القلب، والاعتماد عليه؛ أَجْلَبَ عليه بالوساوس، وأقبل بوجوه

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).



الشهوات إليه، وزيَّن له من الأحوالَ والأعمالَ ما يصده به عن الطريق، وأمدَّه من أسبابِ الغي بما يقطَعُه عن أسباب التوفيق، ونصب له من المصايد والحبائل ما إن سلم من الوقوع فيها لم يسلمْ من أن يحصل له بها التعويقُ.

فلا نجاة من مصايده ومكايده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى والتعرُّض لأسباب مرضاته، والتجاء القلب إليه، وإقباله عليه في حركاته وسكَناته، والتحقق بذل العبودية الذي هو أولى ما تلبس به الإنسان ليحصل له الدخول ضمان: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]. فهذه الإضافة هي القاطعة بين العبد وبين الشياطين، وحصولها سببُ تحقيق مقام العبودية لرب العالمين، وإشعار القلب إخلاص العمل ودوام اليقين، فإذا أُشرب القلب العبودية والإخلاص صار عند الله من المقربين، وشمله استثناء ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِيْنَ﴾ [الحجر: ٤٠]»[١].

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٥).

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تأملتُ أنفعَ الدُّعاء، فإذا هو سُؤال العونِ على مرضاته، ثمَّ رأيتُه في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]»(١).

والله أسأل أن يجعل هذه الكلماتِ حجةً لي لا عليَّ، وأن ينفع بها مَن طالَعها، وأن يكتب لها القبولَ، إنه سبحانه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



(١) «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٧٨).

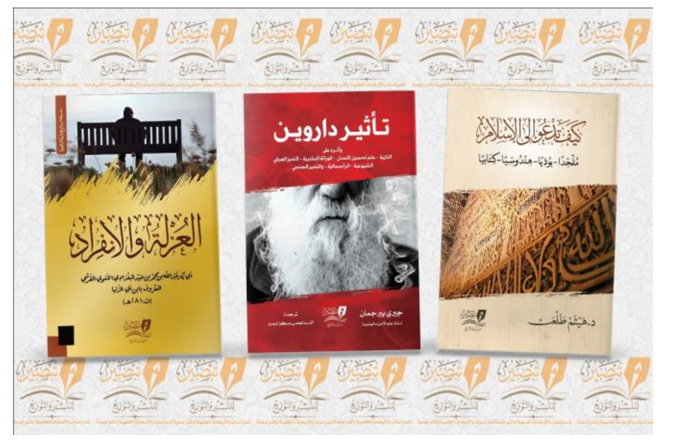
الفهرس



من إصدارات مركز تبصير








كيف تقرأ
منهجية علمية لتنمية ملكة القراءة
تأليف
القسم العلمي بمركز تبصير
هبة الحسيني
الظل المعتم بالصورة
رواية
الغرب والإسلام
بين ساحة كليرمونت وساحة البيت الأبيض
تأليف
د.بركات علي محمد الكتاني




هذا هو محمد ﷺ
خاتم المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين
تأليف
مصطفى حسين عوض
التحفيز في الهدي النبوي
تأليف
بوصلة المفسر
في قواعد الترجيح وتمييز الصحيح من الضعيف من أقوال المفسرين
تأليف


تبصير للنشر والتوزيع
أنثى كمصد الريح
تأليف
رحاب حسان
تنمية مهارات المرأة
في الهدي النبوي
إعداد
د. مشعل بن محمد الحداري
نظرية الزمان والمكان
عند ابن تيمية
بحث في الدلالة الفلسفية والشرعية
وبيان آثارها في البحث العقدي
تأليف
أحمد عصام النجار




تبصير للنشر والتوزيع
قصص ومواقف
من حياة النبي الخاتم ﷺ
تأليف
محمد حامد موسى
ما لا
تعرفه عن
التدخين
نشأته - خفايا صناعته - أضراره
وطرق الوقاية والعلاج من إدمانه
تأليف
ربيع عبد العظيم السيد
السببية
وميكانيكا الكم
د. أحمد إبراهيم